ان ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات كالحياة والعلم وصفات
الافعال كالرحمة التي يرحم بها عباده كلها صفات قائمة بذاته ليست قائمة بغيره فتفطن
لهذا فقد غلط فيه طوائف وفي الحديث ان النعم لا يجوز ان تضاف الا الى الله وحده و
هو الذي ينعم عليها وحده وهذه حال اهل التوحيد قوله واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
الخ تقدم ما يتعلق بذلك قال المصنف رحمه الله وفيه التفطن للكفرية في هذا
الموضع يشير الى ان نسبة النعم الى غير الله كفر ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه وان لم يعتقد
تاثير النوء في انزال المطر فيكون من كفر النعم لعدم نسبتها الى الذي انعم بها ونسبتها الى غيره
كما سيأتي في قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال القرطبي في شرح حديث زيد
ابن خالد وكانت العرب اذا طلع نجم من المشرق وسقط آخر من المغرب فحدث عند
ذلك مطر او ريح فمنهم من ينسبه الى الطالع ومنهم من ينسبه الى الغارب نسبة ايجاد
واختراع ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث فنهى الشارع عن اطلاق ذلك لئلا
يعتقد احد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم انتهى قوله فمنهم من ينسبه نسبة ايجاد يدل
على ان بعضهم لا يعتقد ذلك كما قال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد
موتها الاية فدل على ان منهم من يعرف ويقر بان الله هو الذي اوجد المطر وقد يعتقد هؤلاء
ان للنوء فيه شيئا من التاثير والقرطبي في شرحه لم يصرح ان العرب كلهم يعتقدون ذلك
المعتقد الذي ذكره فلا اعتراض عليه للاحتمال المذكور قوله ولهما من حديث ابن عباس
بمعناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزل الله هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم
الى قوله تكذبون ولفظه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد
صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم هذا قسم من الله عز وجل يقسم
بما شاء من خلقه على ما شاء وجواب القسم انه لقرآن كريم فلكون لا صلة لتاكيد النفي فتقد
ير الكلام ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل هو قرآن كريم قال ابن جرير
قال بعض اهل العربية معنى قوله فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد
فقيل اقسم بمواقع النجوم قال ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من
السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية ومواقعها
نزولها شيئا بعد شيء وقال مجاهد مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختاره ابن جرير

وعلى هذا

وعلى هذا فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها ان
النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات
الغي والجهل فتلك هداية في الظلمات الحسية والقرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع بين
الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة وفي القرآن من الزينة الباطنة ومع ما في النجوم
من الرجوم للشياطين وفي القرآن من رجوم شياطين الجن والانس والنجوم آياته المشهودة
العيانية والقرآن آياته المتلوة المسموعة مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة و
الدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول ذكره ابن القيم رحمه الله قوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم قال ابن كثير وان هذا القسم الذي اقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته
لعظمتم المقسم به عليه قوله انه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وهو القرآن اي انه وحي الله
وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار انه سحر او كهانة او شعر بل هو قرآن كريم اي عظيم كثير الخير
لانه كلام الله قال ابن القيم رحمه الله تعالى فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خيره
ومنافعه وجلالته فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء احسنه و
افضله والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف
به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال
الازهري الكريم اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وانه لقرآن كريم يحمد لما فيه
من الهدى والبيان والعلم والحكمة قوله في كتاب مكنون اي في كتاب معظم محفوظ موقر
قاله ابن كثير وقال ابن القيم رحمه الله تعالى اختلف المفسرون في هذا فقيل هو اللوح
المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ويدل على انه الكتاب الذي بايدي الملائكة قوله
لا يمسه الا المطهرون فهذا يدل على انه بايديهم يمسونه قوله لا يمسه الا المطهرون قال ابن
عباس رضي الله عنهما لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذي في السماء وفي رواية لا يمسه الا المطهرون
يعني الملائكة وقال قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون فاما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس
والمنافق الرجس واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم رحمه الله تعالى ورجحه وقال
ابن زيد زعمت قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فاخبر الله تعالى انه لا يمسه الا
المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين الى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال ابن كثير هذا
قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله وقال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في هذه الآية لا

Copyright © King Saud University